كان حُبّاً

مسرحية من الشعر الحر
في فصل واحد

صخر حبش (أبو نزار)

المنظر:

حجرة مكتب فخمة الأثاث.. رفوف عليها كتب ومكتب جلس خلفه شاب في الثلاثين هو صادق.. بينما وقفت فتاة في الخامسة عشرة تنظر الى صادق الذي انكب على الكتب نظرات توحي بما له من منزلة في قلبها..ينتهي صادق من كتابة الرسالة.. يضعها في مظروف ويناوله لنوار.

صادق: كلما غرد في الأفق هزار
أو شدا في عالم السحر كنار
أو تبدت لي اطياف سعاد
في الخيال
ذكرينها يا نوار
اخبريها انني أسمو بحبي
فوق أنغام المحال

نوار: سيدي أنت كريم
وكذا سيدتي
انها دوما كمرآة بها قلب كبير
قلب عاشق

صادق: أهي حقا هكذا؟
نوار: وهي لا ترسم في الأحلام الا طيف صادق
صادق: أتراني هي في أحلامها
ما الذي أدراك يا عفريته؟
نوار: قلبها يهمس لي
عينيها ترسل إشعاعا حفيا
فأراه وهو يغزو مقلتيها
يسدل الأطياف في صمت عليا
صادق: وتريني أنت.
نوار:لم لا

صادق:أي نوار

نوار: سيدي

صادق: (يقترب منها وقد لمعت في عينيه رغبة)

أنت سحر.. أنت اشراقة وحي

نوار: انا لا شيء

صادق: (يقترب محاولا احتضانها فتهرب منه)

أنت أشياء كثيرة

أنت ظل.. أنت فيء

نوار: وسعاد؟..

انها سيدتي

صادق: (مكشرا وقد بدا عليه الغضب من إعراضها)

اذهبي هيا نوار

أوصلي تلك الرسالة لسعاد

(تتجه ناحية الباب وهي تنظر اليه ثم تخرج)

يا لها من فاتنة

انها السحر بعينه

انها الرغبة كانت كافية

ثم هبت مثل بركان خطير

انا لا ادري عن ابعث بعد اليوم أشواقي وحبي

انني قد ضل قلبي

اسعاد.. ام نوار

انوار.. امن سعاد

انا لا اعلم ان كنت أحب الخادمة

ام أحب السيدة

ام أحب الاثنتين

(يتجه ناحية الشباك) ام نرى

(يطل من الشباك) ويح قلبي.. اسعاد ؟؟؟؟

انها معبودتي

انها محبوبتي

(يصلح رباط عنقه ويتجه ناحية الباب تدخل سعاد)

أي صدمة

كالذهب كأصيل غمرت أشواقه قلبا أحب

سعاد: اهو قلبك؟

صادق: لم لا؟

سعاد: هل تسلمت الرسالة.

صادق: وبعثت الرد حالا.

سعاد: قلت ماذا في جوابك؟

صادق: لم اقل شيئا ولكني سكبت

من دمائي بين أمواج السطور

ومن الأشواق سطرت كلاما

ومن الأنوار أبدعت حروف

لن ترى في شرفة النور ظلاما

سعاد: كل هذا قلته

صادق: لا بل صنعته

بل سكبته

من فؤادي

صادق: أنت لا تهويني

أنت عني لاهية

اهو غيري

ولان كان فلم تشقينني

ان أنفاسك كانت حانية

وجراحي

سعاد: لا تزد

أنت أثخنت الجراح

أنت لا تدري بما في خافقي

من هوى

أنت لا تدري بما في مقلتينا

من دموع

من جوى

أنت لا تحنو عليا

صادق: كيف لا أحنو وفي كل مساء

اصنع الحب رسالة

سعاد: (غاضبة) أي حب صنعته بالأمس لي؟

عندما دار الحديث

عن نوار

وعلت وجهك أمواج الدماء

وكساه الاحمرار

صادق: من نوار

اسعاد.. أنت يا واحة عمري

أنتي يا بحر يضم الزورق الحالم بحري

أتخافين علي

من نوار

انها خادمتك

من نراها كي تظنين الظنون

سعاد: كنت أخشى

صادق: مم تخشين.. امني

سعاد: ليس منك

انها ذئبة

صادق: نوار

سعاد:وستنفصل مع الأيام عني

صادق: (يرفع يديه الى السماء)

أنت يا أوهام ولي

لم عكرت نقانا

اعزول لهوانا

سعاد: نحن لا ندري اذا ما كان حبا

صادق: بل هو الحب بعينه

هو أسمى عبث يفجر قلبا

ووجيب ينسخ الأوهام ألحانا جميلة

ويصب الليل في الكؤوس خمار هزيلة

أنت يا معبودتي

كل ما فيك جمال

ودلال

انا أسلاك.. وأنساك.. محال

سعاد: (مقتربة منه.. تاركة يديها ليديه)

يا حبيبي.. لا تلمني

كنت أخشى ليس منك

بل انا أخشى على نفسي من نفسي

ومن نفسي عليك

أيها الراقد في أعماق حسي

أنت شمسي

أنت اشراقة عمري

يا حبيبي

صادق: (يضمها اليه) يا حياتي

سعاد: ضمني

أشعل النار بقلبي وبجسمي

حطم الثلج الذي يغمر عمري

كسر القيد الذي ياسر صدري

انزع الآثام عني يا حبيبي

(يغيبان معا في قبلة)

صادق: منذ مدة لم نذق طعم القبل

سعاد: (ضاحكة).. أنت تمزح

صادق: بل أقول الحق..

سعاد: بالأمس

صادق: ترى ماذا حصل

سعاد: أنسيت

صادق: أنت غبت دقيقة

خلتها دهرا طويلا

سوف تأتين غدا

سعاد: لا

صادق: بعد غد

سعاد: ليس ايضا هل تريد

ان تراني

صادق: كل يوم

كل ساعة

ليتني ألقاك دوما كل ساعة

أي لحن منك ينساب انا ابغي سماعه

نغمات تتعالى

وأناشيد وداعه

أنت سحر.. أنت شمس..

أنت سر من إذاعة

يقتل الصبر انتظاري

ويمد الشوق باعه

كان يخفق قلبي

حيث لا ألقاك جنبي

تتلاشى حياتي أي ساعة

انها أطول ساعة

سعاد: يا حبيبي

صادق: لمس الخوف شفاهي

وانا في عالم الأوهام لاهي

بين آه أتردى

وفي دجى نفسي وآه
وارى صورة حبي
تتلاشى في خيالي
كوميض النور يذوي
بين أطراف الليالي

سعاد: لا تدعني يا حبيبي
والهوى يذكر لهيبي
وحديث الناس عنا
عن هوانا
وعيون الشر تصحو
في لقائي
واللظى يدمي شفاهي
ليس من يسمع آهي
ليس الا حبيبي
وهروبي من لهيبي
فتعال.. يا حبيبي
نهجر الدنيا الى بحر ألاماني
حيث لا خوف يتهادى
ونسيج يتغنى
وصداح البلبل الساحر بالألحان عنا
عرسنا موكب شعر وعبير
وهوانا ذلك الحب الكبير

صادق: وانا في عالم السحر وأنت
ننشد الحب معا ألحان صمت
ودمي امزجه بالحب كله
في دمائك
وشفاهي تدع الخوف الى اسعد قبلة
من شفاهك

(يتعانقان فتسقط الحقيبة من يد سعاد)

سعاد: يا له من يوما جميلا حين أبصرتك فيه

صادق: (مبتسما).. أنت طبعا تذكرينه

سعاد: كيف لا اذكره يوم التقينا

يا لـها هذه الحقيبة (تنظر الى الحقيبة) وتنحني لالتقاطها وينحني صادق يحدقان في أعين بعضهما ثم يقومان ضاحكين والحقيبة في يديهما)

صادق: وأخيرا سقطت منك الحقيبة

في الزحام

واهتزازات الترام

جعلت منك الى صدري قريبة

سعاد: ملت.. بل ملنا سويا

صادق: كنت اسبق

كان فستانك من جسمك أضيق

كاد لما ملت نحوي يتمزق

سقطت راحتك الحرير على ظهر يدي

ويدي فوق الحقيبة

فسرت في خافقي نار لهيبة

بعثتها يدك الحرير الى دنيا يدي

صدرك الناهد والأنفاس كانت تلتهب

يبعث الآهات كالدف كنار في اضطرام

عيني امتدت اليه تعبث

ونسينا اننا وسط الزحام

عينيك الذبلى رجاء مستميت

حد جفنك يا حوراء يصعق

لن أرى قبل رجاها ما حييت

كادت الدعوة منها تنطق

سعاد: قلت شكرا.. ووقفنا

وتقاربنا قليلا

وتلاقت في الزحام مهجتانا
وتبسمنا طويلا
ويدانا التقتا حول الحقيبة
كحبيب وحبيبة

صادق: بل لقد كنا كذلك
انها أول نظرة
جعلت قلبي ملكا لجمالك
وشذا عطرك فاح
كرياح
كعبير من أقاح
وصحا نهداك

سعاد: بل ناما

صادق: على صدري

سعاد: وهل صدرك نام؟
في الزحام
واهتزازات الترام
جعلت منه لنهدي فراش

صادق: بل صحا واهتز كالريش يطير
حين هبت منك أمواج العبير
كيف يغفو وهو في أحضانه
عالم السحر بأسره

سعاد: ثم ماذا

صادق: قد تبسمت بخبث عن همس
يا حبيبة
لم يكن عفوا ولكن
أنت أسقطت الحقيبة
(يضحكان معا بصوت مرتفع.. تخطف سعاد الحقبة وتتجه مسرعة ناحية الباب)

سعاد: الوداع

صادق: الوداع

انني منتظر

سعاد: قد يطول الانتظار

صادق: كل أيامي صبر وانتظار

حين لا ألقاك جنبي

(ترفع سعاد يدها محيية وتخرج)

يا لها معبودتي

تشرق الشمس اذا جاءت الي

وتولى حين تذهب

وارى الدنيا تناجيها ولا تبقى علي

وانا في قلب أيامي العب

نوار: (تدخل مسرعة) هل هنا سيدتي.

صادق: ماذا.. نوار

نوار: أين راحت

صادق: خرجت

ما الذي تبغينه منها

نوار: انا.. لا شيء..

صادق: ماذا.. تكذبين

نوار: سيدي

صادق: (ينظر اليها نظرة شهوانية ويتجه اليها)

لا تقولي سيدي

انا صادق

نوار: أنت دوما سيدي

صادق: (يقترب منها)

أنت يا عفريتتي

يا صغيرة

نوار: (بدلال مبتعدة عنه)

هل انا بعد صغيرة

صادق: أنت في قلبي كبيرة

نوار: (بحزم) ما الذي تبغيه مني سيدي

صادق: انا لا شيء

نوار: إذن دعني وشأني

صادق: لم جئت

نوار: باحثة عنها.. لقد كانت هنا

صادق: ما الذي تبغينه منها إذن

نوار: شيء

صادق: أي شيء

نوار: (بدلال) لن أقوله

صادق: (مقتربا منها) يا نوار

لم عني تعرضين

نوار: سيدي ماذا تقول

صادق: انني أهواك

نوار: لا.. لا مستحيل

أنت لن تعبث في عقلي الصغير

صادق: صدقيني.. انا لا اكذب

والله العظيم

نوار: لم تقسم

لن اصدق

أنت قد أقسمت يوما لسعاد

كل يوم أنت تقسم

صادق: لا نوار

نوار: الله اعلم

غير أني

(يرن جرس الهاتف يتجه صادق مسرعا ويرفع السماعة)

صادق: من.... سعاد

لا.... صدقيني

(يبدو عليك الارتباك.. ينظر الى نوار التي تحدق فيه)

سأحاول

لست ادري

كيف.. لا بل سأنام

سعاد.. سعاد.. سعاد

(يلقي السماعة بعصبية)

يا لها

نوار: ماذا جرى

انني ذاهبة يا سيدي

صادق: لا نوار انتظري

(يتجه ناحية المكتب ويبدأ كتابة رسالة ينتهي منها بعد لحظات ويناول الرسالة الى نوار دون ان يضعها في مظروف كالعادة)

نوار: لم لا تغلفها يا سيدي

صادق: لك هذا فاقرأيه

مزقيه أو دعيه

بين نهديك يقيم

نوار: لي انا؟

صادق: ليس بالشيء الكثير

كم رسالة

بحروف من فؤادي

قد حملتيها اليها

كم رسالة

جئتني تطوينها في بحر صدرك

لم يكن نهداك قد شبا الى درب القمر

يا نوار

لم يكن قد نتح الزهر بثغرك

قد سرقت الحب.. حبي حبها

بما استعر

نوار: (تناوله الرسالة فلا يأخذها)

انا لم اسرق شيئا سيدي

لا ولن اقرأ حرفا منك لي

صادق: (متأوها) كنت بالأمس صغيرة

وشقية

انك اليوم كبيرة وشهية

وثب النهدان كالشيطان نحوي ينظران

يحكمان.. ما يشاءا يحكمان

ان في نهديك عيني امرأة

خلقت من مدفأة

هل تعاهدنا على ان نلتقي

لست اذكر

لست ادري لم كانت تتكسر

حول جنبي الثلوج.. وتذوب

نارك النار ومن لا يتقي نار القلوب

كلما أرسلت بالأمس رسالة

لي منها أو لها مني بكيت

يا له دمعك في الإغراء يا له

فوق أنقاض هوانا قد بنيت

صرخ حبك

كان حبا.. انه منذ البداية

قد نما في مهجتينا

كنت أنت الحب والأخرى وسيلة

يا نوار.. كنت حبي منذ أيام الطفولة

لك هذا.. فقرايه

مزقيه أو دعيه

بين نهديك يقيم

نوار: (تهز رأسها) ثم ماذا

صادق: أنتي مني تسخرين

نوار: انا لا اسخر منك

انا أحببتك لكني ندمت

كيف أهواك.. لقد كانت خيانة

ولقد قابلت حبي بإهانة

أنت لا تهوى سوى نهدا تحطمه

وثغرا تشتهيه

أنت لا تبقي سوى قلبا تعذبه

وجسما تحتويه

صادق: لا نوار

انا أهوى روحك العذبة

والقلب الكبير

فيك سحر انا لا ادري لماذا ابتغيه

نوار: انها الشهوة

صادق: لا.. لا

نوار: أنت تكذب

صادق: انا صادق

نوار: أنت كاذب

صادق: (غاضبا) اغربي عني إذن

نوار: لك شكري سيدي.. واحترامي

كل ما ارجوه ان لا تكن مني اليوم غاضبا

صادق: (مقتربا منها) انا لن اغضب منك

افعلي ما شئت أني لست عاتب

انا أهواك وهل يغضب حبيب من حبيبته

نوار: أنت لا تهوى سوى ما في يديك

ما تريده

فاذا ما قد شعبت

وارتويت

منه ما عدت تريده

ما الذي اخرج من قلبك أطياف سعاد

صادق: أنت

نوار: لا.. لا لن أكون

انها سيدتي مصدر عيشي

ولقد عشنا معا عبر السنين

خبزها يصنع جسمي

هل انا تافهة يا سيدي

كي أخون الذكريات

كي أدوس الحرمات

انا لن اسرق شيئا ليس لي

صادق: انا لك دوما

نوار: بل لها كن سيدي

انا أهواك بعيدا عن خيالي

وستبقى في خيالي ما حييت

وكما أهواك أهوى

من لها الخير عليا

لكما أرجو صفاءً

وهناءً أبديا

(تدخل سعاد غاضبة تنظر اليهما في احتقار ثم تخطف الرسالة من يد نوار وتنظر اليها باحتقار)

سعاد: أنت يا بنت الكلاب

نوار: لم يا سيدتي؟

سعاد: يا حقيرة

(تقرأ الرسالة) (لصادق) أنت قد أصبحت شيئا تافها في ناظري

غدونا نرسل ألحان الهوى للخادمات

أو هذه المسخ تفضيك

وترجوها ان تحنو عليك

عجبا يا ليتني حطمت قلبك

وتهاونت بحبك
هذه المسخوطة البلهاء خير من سعاد
أنت قد أصبحت في عيني اشلاء رماد

نوار: أنت يا سيدتي حطمتني
بالإهانات
وكأنني قد جئت منكر

سعاد: اوتنطقين.. اتجرؤين على الكلام
قد جئت يا بنت اللئام جريمة كبرى

نوار: حرام

صادق: لا يا سعاد
صدقيني انها تهواك أكثر
من هواي
بك يا حلم صباي
نحن كنا وردتين في حديقة
جسمه الورد رفيقة وهي كانت بيننا توصل بينه
ويروي حبنا دمع الوقار
وهي في حبي غريقة
بعد ان مات هواي
لك يا من كنت أحلام صباي
ولد الحب لها لكن بقايا
من وعاء
لك أو ذكرى لأنغام صبايا
أو تراجيع الحكايا
يوم ان كان هوانا في السماء
ذكريات جذبتني
لك يا طيف هوايا
جئت أرجوك الكثير
بجناحيك تعلقت فطيري

كي أطير
مع أنغامك في درب هوايا

سعاد: ما الذي تبغيه مني؟

صادق: ان تكوني مثلما كانت نوار
بالوفاء.. توصلين البين
بالحب الكبير

نوار: انا لن أرضى

صادق: اسكتي يا طفلتي

سعاد: الذي كنت انا منه أخاف
قد وقع
قد تلاشى حبك الدافق وانفض الولع
أنت ترجوني ان أرجو نوار
يا لها تلك الحياة
اقبليه يا نوار
انه مثل فراشات الربيع

نوار: انا يا سيدتي لا أستطيع
انا لن اسرق شيئا منك أنت
ان في قلبي هوى الذكريات
لك.. للأيام في بيت رعاني
وحماني من دياجير الحياة
سأعود.. يا أحبائي الى قريتنا
للسلام
لابن عم ينتظر
انه يحسب أيام السنة
كي يراني واراه
ان في قريتنا الحب يعيش
كل أيام الحياة
سيدي حبك قد كان عظيما

وسيبقى
انها سيدتي تملأ قلبك
وانا مسخ كما قالت ستمحوه الحقيقة
انما الحب الكبير
ذلك الوهم الذي لا يستطيع
منه ان تهرب حتى الحقيقة
الوداع
ان يوما بعد عام أو يزيد
قد أعود
ومعي طفل صغير
وسألقى طفلكم في مثل سنه
سأغني لهما بين الزهور
وسأشدو كالطيور
الوداع يا أحبائي.. الوداع
(تخرج)

سعاد: يا لها قد جرحت قلبي

صادق: وقلبي
اثخنتنا بالجراح
تركتنا بعدما خاطت فؤادانا
بخيط من وفاء
انها حقا ملاك
بعثت حبي من جوف القرار لسعاد

سعاد: ان حبي لك مات
لم يمت بعد سنين بل ولد
فلنلملم ذكريات الأمس من دنيا
الشتات
أنت حبي.. أنت قلبي
انا لن أنسى وقد قلت لها

لنوار

اقبليه يا نوار

انه مثل فراشات الربيع

ان هذا منك قد كان الوفاء

أي نوار.. أنت قد غادرتنا

كان الوداع

بعد عام ستعودين بطفل كالفجر

وانا.. أنت.. سعاد

سوف نبني عشنا فوق القمر

وسيحبو طفلنا فوق الزهور

(يتجه الى التلفون ويطلب نمرة.. لسعاد)

ليكن ما سيكون

أنت منذ الان لي

الو... اعطني المأذون

ستار